

الدرس التاسع عشر

الحساب والجزاء

obeikandi.com

الحساب والجزاء

المرحلة الرابعة: الحساب: ويعتمد الفوز في الحساب يوم القيامة على الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَاوَّصُوا بِالْحَقِّ وَوَاوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (١) فمن توفر فيه الإيمان عرض للحساب لينال مرتبته في الجنة ولو بعد دخوله النار لمعاص لم يتب منها (٢)، ومن لم يتوفر فيه الإيمان فهو من أهل النار ولا ينفعه عمله الصالح لأنه فقد أساس قبوله وهو الإيمان ﴿وَمَنْ يَزِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَاوْرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٤).

والعمدة في الحساب المتعلقة بحقوق الله تعالى: هي الصلاة، فإذا وجدت نظر في سائر عباداته من صيام وزكاة وحج ونحو ذلك، كما قال ﷺ: (أول ما ينظر في عمل العبد هو الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسدت سائر عمله) (٤).

والعمدة في الحساب المتعلقة بحقوق العباد: هي الدماء، فإذا كان قد أراق دماً حراماً لم ينظر في سائر معاملاته الحسنة مع الناس، كما قال ﷺ: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) (٥).

(١) العصر آية ١-٣.

(٢) لقوله ﷺ (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه عن أنس مرفوعاً. انظر كشف الخفاء ح ٢ ص ٥٤٩ رقم الحديث ٣٢٢٨.

(٣) البقرة آية ٢١٧.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن قرط مرفوعاً. قال المنذري: لا بأس بإسناده. ورواه في الأوسط أيضاً عن أنس مرفوعاً بلفظ (فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت خاب وخسر) انظر الترغيب والترهيب ح ١ ص ٢٤٦ باب الترغيب في الصلوات الخمس والمحافظة عليها. رقم الحديث ٣٣.

(٥) رواه البخاري عن ابن عمر مرفوعاً. صحيح البخاري ح ٩ ص ٢ كتاب الديات.

والحساب يوم القيامة عرض وسؤال: فالعرض مجرد إخبار للإنسان عما كان قد عمله في هذه الحياة الدنيا، وأما السؤال فمناقشته فيما كان قد فعله، فالعرض يسير وسهل، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) (١) وأما السؤال والمناقشة فعسير وشديد، لقوله ﷺ: (من نوقش الحساب عذب) قالت عائشة بعد أن سمعت ذلك: كيف وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) (٢) فقال ﷺ: ذلك العرض يا عائشة (٣).

وفي ذلك اليوم تُنصَبُ الموازين التي توزن بها السيئات والحسنات من أعمال القلوب والجوارح واللسان، وهي من الدقة بحيث يوزن بها مثاقيل الذر من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا﴾ (٤٧) (٤)، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) (٥).

فمن زادت حسناته من المؤمنين على سيئاته في الميزان فهو من الناجين ويعطى كتابه بيمينه، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو من الهالكين ويعطى كتابه بشماله، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١١) (٦)، ومن استوت حسناته مع سيئاته فهو إلى المشيئة الإلهية: إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء عفا عنه كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا لَهُمْ أَرْضًا فَزَعَوْا عَلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَمَنْ عَمِلْ أِثْمًا فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ ظِلْمًا﴾ (٧).

(١) الانشقاق آية ٧ - ٨.

(٢) الانشقاق آية ٧.

(٣) رواه أحمد، وكذا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب

السختياني، انظر تفسير ابن كثير ح ٤ ص ٤٨٨.

(٤) الأنبياء آية ٤٧.

(٥) الكهف آية ٤٧.

(٦) القارعة آية ٦ - ١١.

(٧) التوبة آية ١٠٢.

وأما غير المؤمنين فلا قيمة لحسناته مهما كثرت، ولا يدخل بها الجنة وإن كانت تنفعه في أنها تخفف عنه من النار.

وسيطعن بعض الهالكين في صحة ما هو مكتوب عليهم من قبل الملائكة الحفظة، فيختم الله تعالى على فم من ينكر ذلك ويأمر جوارحه فتشهد عليه بما كان قد فعله في هذه الحياة كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

ثم ينصب الصراط على متن جهنم أي فوقها وهو (أحد من السيف وأدق من الشعر) (٢) يمر عليه جميع الخلائق مؤمنين وكافرين، وتكون سرعة مرورهم عليه بحسب أعمالهم، فمنهم من يمر بسرعة البرق، ومنهم من يمر بسرعة الريح، ومنهم من يمر بسرعة الفرس، ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وأما أهل النار من الكفار فيسقطون من الصراط على جهنم، حيث تشدهم إليها الكلاب المنصوبة على الصراط (٣)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧) ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (٨).

وبعد الصراط يكون مقاصة بين المؤمنين أي دفع حقوق بعضهم لبعض بالحسنات والسيئات، وذلك عند القنطرة حتى إذا ما استوفوا هذه الحقوق وفاز أهل الجنة بالحسنات ساقتهم الملائكة إليها، ومن لم تزد حسناته على سيئاته بعد المقاصة ساقتهم الملائكة إلى النار، وقد ورد في الحديث: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا دينار له ولا درهم، فقال ﷺ: بل المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال

(١) يس آية ٦٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف. انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٢٥١ كتاب القيامة وأحوالها. رقم الحديث ١٠٠٠١.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي بألفاظ قريب مما ذكرنا. انظر نفس المصدر. رقم الحديث ١٠٠٠٠.

(٤) مريم آية ٧١-٧٢.

هذا. وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فئيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(١)، وبعد المقاصة يجتاز المؤمنون القنطرة إلى الجنة.

وفي ذلك اليوم تكون الشفاعة من الملائكة والأنبياء والصالحين والشهداء وهي على نوعين: عامة وخاصة.

الشفاعة العامة: - وهي تشمل جميع الخلائق، وتختص بمحمد ﷺ وتسمى الشفاعة الكبرى، وذلك عندما يشفع لأهل الموقف حين يأخذهم العرق وتقرب منهم الشمس ويشتد عليهم الأمر فيشفع لهم لينتقلوا من الموقف إلى الحساب^(٢).

الشفاعة الخاصة: - وأما الشفاعة الخاصة فلها مواقف^(٣) تشمل أهل الجنة وأهل النار، فيشفع ﷺ لأناس من المؤمنين استوجبوا النار ألا يدخلوها، ويشفع لأناس من المؤمنين في الجنة لإعلاء درجاتهم فيها، كما يشفع لأناس من أهل النار فيخفف عنهم من عذابها، كما ورد بأنه يشفع لعمه أبي طالب فيكون في ضحضاح من النار وهو أهون طبقات النار عذاباً لكنها وإن كانت أهونها فإنها شديدة الألم، كما ورد في صحيح مسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»^(٤).

المرحلة الخامسة: - الجزاء: - وهو إما جنة أو نار.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم المنذري ح ٢ ص ٢٤٤ كتاب المظالم، باب القصاص وأداء الحقوق يوم القيامة. رقم الحديث ١٨٣٦.

(٢) ورد في حديث الشفاعة أن عيسى عليه السلام يقول لمحمد ﷺ: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه، فالخلق ملجمون في العرق. رواه أحمد ورواه محتج بهم في الصحيح. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٣٦ فصل في الشفاعة رقم الحديث ٩٦.

(٣) انظر التذكرة للقرطبي ح ١ ص ٣٠٨.

(٤) رواه مسلم عن النعمان بن بشير مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة النار. باب من أهون أهل النار عذاباً. رقم الحديث ١٩٧٨.

أولاً: - الجنة ونعيمها: - وهي اسم لما أعدّه الله تعالى من النعيم لمن آمن به وبرسله، وسميت الجنة جنةً لكثرة ما فيها من الشجر الملتف، الذي يمنع من فيه من التعرض لعيون الآخرين، مشتق من الاجتنان أي الاختباء، ومنه الجنين وهو الولد حالة كونه في بطن أمه، سمي بذلك لأنه مستور عن الأعين، والجنة فوق السموات كما أخبر النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج^(١)، والجنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٢)، والجنة التي هي جائزة الله تعالى للمؤمنين فيها مائة درجة، (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)^(٣) وقد أخبر النبي ﷺ عما يملكه أدنى رجل من أهل الجنة فقال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل ينظر في ملكه ألفي سنة»^(٤)، بمعنى أنه يحتاج ليقطعه من أوله إلى آخره إلى ألفي سنة بسرعة الجواد المضممر السريع، وقد جعل الله تعالى الجنة محلاً لتلبية شهوات الإنسان بأنواعها الثلاثة - المال والجاه والجنس :-

أما شهوة المال: فإن المال يطلق على كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على الوجه المعتاد، فيشمل الأرض والعقار والطعام والشراب واللباس، وجميع هذه الأشياء مخلوقة لأهل الجنة على وجه الكمال فيها، فأرضهم واسعة، وبنائهم من ذهب وفضة وطعامهم من الثمار التي كانوا يأكلون من مثلها في الدنيا مع الفارق الكبير بينهما في الآخرة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥)، وشرابهم من ماء ولبن وخمر وعسل بكميات وافرة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام ص ٩٢. وما يليها. الكامل لابن الأثير ح ٢ ص ٣٥.

(٢) آل عمران آية ١٣٣.

(٣) رواه البخاري ح ٤ ص ١٩. كتاب الجهاد. باب درجات المجاهدين في سبيل الله عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) رواه أحمد. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠٨ كتاب الترغيب في الجنة ونعيمها. رقم ١٩.

(٥) البقرة آية ٢٥.

وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَقْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ (١).

ولباس أهل الجنة من حرير وسندس واستبرق، وقد ورد في الحديث أن أهل الجنة حين يريدون الثياب يقطفون الثمرة من شجرة طوبى ويفتحونها وإذا فيها من الثياب ما يرغبون في لونه وشكله^(٢)، ولا تبلى هذه الثياب كما لا تفسى أعمارهم ففي الحديث: «فمن يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»^(٣).

وأما شهوة الجاه: فأهل الجنة في حال كمال في أبدانهم فهم بطول آدم ستون ذراعاً في السماء بعرض سبعة أذرع^(٤)، والذراع قريباً من نصف متر، وجمالهم بجمال يوسف عليه الصلاة والسلام^(٥) وهم بأخلاق محمد ﷺ^(٦)، لا يحملون غلاً ولا حقدأً ولا حسداً ولا كراهية وإنما هم على قلب رجل واحد كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٧).

وأما شهوة الجنس: فإن الله تعالى جعل لأهل الجنة الحور العين، وهن نساء تحار العين في إدراك مكامن الجمال فيهن، وقد وصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٨) وقوله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ﴾^(٩) وبقوله: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ

(١) محمد آية ١٥.

(٢) فقد سئل رسول الله ﷺ عن ثياب أهل الجنة فقال ﷺ (تنشق عنها ثمار الجنة) رواه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي ورواه في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد. انظر مجمع الزوائد ح ١٠ ص ٥.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة باب دوام نعيم أهل الجنة، رقم الحديث ١٩٦٤.

(٤) رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي من رواية علي بن زيد بن جدعان. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٠١. كتاب الترغيب في الجنة رقم الحديث ١١.

(٥) رواه البيهقي بإسناد حسن عن المقداد مرفوعاً بلفظ (من كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصوره يوسف وقلب أيوب) انظر نفس المرجع. رقم الحديث ١٢.

(٦) الذي قال الله تعالى فيه (وإنك لعلی خلق عظیم) القلم آية ٤.

(٧) الحجر آية ٤٧.

(٨) الصافات آية ٤٩.

(٩) الرحمن آية ٧٢.

الظرف لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُّ ﴿٥٦﴾ (١) أي يقصرون نظرهن على أزواجهن، ووصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّ الْيَأْقُوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾ (٢)، والحوراء تغني زوجها يوم القيامة بصوت هو من أفضل نعيم أهل الجنة (٣).

وقد أعد الله عز وجل ذلك كله لأهل الجنة بسبب إيمانهم بالله تعالى ورسله وطاعتهم لما أمرهم به واجتنابهم لما نهاهم كما قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (٤)، وطريق الجنة محفوفة بالمخاطر والمصائب والمتاعب كما قال ﷺ: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره» (٥)، وهي أقرب إلى المرء من شراك نعله، لأنه بمجرد أن تغادر روحه بدنه يصير إلى الجنة إن كان من أهلها أو إلى النار إن كان من أهلها لقوله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» (٦)، وفي الحديث أيضاً: «القبر أول مراحل الآخرة فيما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار» (٧).

ثانياً: - النار وجحيمها: - تفيد النصوص الواردة بشأن نار جهنم التي هي محل عقوبة الكافرين والفاستقين يوم القيامة بأن مكانها في عالم الفلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (٨)، وعالم الفلك هو فضاء السماء الأولى ولكننا لا ندري على وجه التحديد على ظهر أي جرم من الأجرام الفلكية سيكون أهل النار.

(١) الرحمن آية ٥٦.

(٢) الرحمن آية ٥٨.

(٣) روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عمر مرفوعاً (إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط) ورواه رواة الصحيح. الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٥٣٨. الترغيب في الجنة. رقم ١٠٥.

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر صحيح البخاري ح ٩ ص ١١٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ.

(٥) رواه مسلم عن أنس مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٢ كتاب صفة الجنة. باب حفت الجنة بالمكاره. رقم الحديث ١٩٦٩.

(٦) رواه البخاري ح ٨ ص ١٢٧. كتاب الرقاق باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.

(٧) سبق تخريجه في ص ٢٠٣.

(٨) الأعراف آية ٤٠.

ونار جهنم ضيقة على أهلها مؤصدة عليهم أبوابها، محيطة بهم أسوارها كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (١)، ﴿أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا﴾ (٢)، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُّقْرَنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (٣)، ﴿رِيدُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ (٤).

ولنار جهنم دركات باتجاه الأسفل، وفي كل دركة منها من العذاب ما ليس في غيرها، وقد ورد أن أهون هذه الدركات عذاباً أن يوضع تحت أخمص قدمي أهل النار فيها جمرتان يغلي منهما الدماغ، كما ورد في الحديث: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع تحت أخمص قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه» (٥)، يحسب أنه أشد الناس عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً، وأما أشد الدركات عذاباً فهي دركة المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٦).

وليس لأهل النار مراكب ينتقلون بها من مكان لآخر، لأن المراكب إنما هي للزينة والراحة كما قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِزْقِهَا وَزِينَةً﴾ (٧)، ولأن النار محل للعقوبة وبالتالي فليس لهم وسائل نقل فيها.

ويحرم أهل النار على صعيد المال والجنس والجاه بكل أنواع الحرمان:

فعلى صعيد المال: ويشمل الطعام والشراب واللباس والعقار والأرض، فإن أهل النار طعامهم من شجر الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ﴾ (٨) ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ (٩) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (١٠) كَعَلَى الْحَمِيرِ﴾ (١١) حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (١٢) ثُمَّ

(١) البلد آية ٢٠٣.

(٢) الكهف آية ٢٩.

(٣) الفرقان آية ١٣.

(٤) المائدة آية ٣٧.

(٥) رواه مسلم. انظر شرح مسلم للنووي ح ٣ ص ٨٦ كتاب الإيمان. باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه.

(٦) النساء آية ١٤٥.

(٧) النحل آية ٨.

صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ، مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ (١)،
 ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْنُونَ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ (٢)، والضرير: نوع
 من الثمر يكثر فيه الشوك فإذا أكل منه أهل النار أصابهم غصة في حلقومهم فلا
 يقدرون على إزدادها ولا يقدرون على إخراجها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أُنْكَالًا
 وَحِجَابًا ﴿١٦﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ (٣)، ﴿وَإِنْ يَسْتَفِيثُوا يُفَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ يَشْوِي
 الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ (٤)، ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿٥﴾﴾.

ويلبس أهل النار ثياباً شديدة الحرارة تلتهب على أبدانهم كما قال تعالى:
 ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴿٦﴾﴾.

وأما عقارهم فإن أرض جهنم شديدة الحرارة كثيرة التواءات فيها الجبال وفيها
 الوديان وكلها تشتعل ناراً على من فيها، وتختلف جبال النار في ارتفاعاتها فمنها ما
 يبلغ أربعين سنة، ومنها سبعين سنة ومنها مائة سنة، كما ورد الحديث بذلك، فقد
 كان النبي ﷺ ذات مرة مع أصحابه فسمعوا وجبة - أي ضجة - فقال أتدرون ما
 هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إنه حجر ألقي في نار جهنم منذ سبعين
 خريفاً فهو الآن يهوى في قعرها) (٧).

ويجبر الكافر في النار على صعود الجبل فيها، حتى إذا وصل أعلاه دفعته
 الملائكة من قفاه ليهوي في قعر الجبل كما قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا ﴿٧﴾﴾ (٨)،
 ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾﴾ (٩)، والدعُّ: مضغف العين معناه الدفع من

(١) الدخان آية ٤٣.

(٢) الغاشية آية ٦ - ٧.

(٣) المزمّل آية ١٣.

(٤) الكهف آية ٢٩.

(٥) إبراهيم آية ١٦.

(٦) الحج آية ١٩.

(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر مختصر مسلم للمنذري ح ٢ ص ٢٨٥ كتاب صفة
 النار. باب في بعد قعر جهنم. رقم ١٩٧٧.

(٨) المدثر آية ١٧.

(٩) الطور آية ١٣.

القفا، ولأهل النار بيوت وقصور ولكنها تلتهب عليهم ناراً، يقذف بأحدهم من أعلاها حتى يستقر بأسفلها^(١)، ولا يطمع أهل النار أن يملكوا من الأرض ولا من العقار شيئاً لما هي عليه من ضرر وخطر.

وعلى صعيد الجنس: يحرم أهل النار منه حرماناً تاماً وكاملاً لأن الشهوة الجنسية لا تثور في الإنسان إلا بعد الأمن والشبع كما قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٢)، وأهل النار في حالة خوف وفي حالة جوع وبؤس وحزن، فهم في شغل بما هم فيه عن تلك الشهوة.

وعلى صعيد الجاه: فإن أهل النار يحرمون منه في جانبه المادي وفي جانبه المعنوي، أما في جانبه المادي فإن أجسامهم مشوهة في أحجامها فمنهم من يتضاءل حتى يصبح في حجم النمل كما قال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يغشاهم الذل من كل مكان»^(٣).

ومنهم من يعظم في بدنه حتى يصبح ضرس أحدهم كجبل أحد^(٤) وحتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام^(٥) - أي ما يعادل مائة كيلومتر - وسماكة جلد

(١) فقد روى شفي بن ماتع رضي الله عنه (أن في جهنم قصرأ يقال له: هوى، يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله) وقد اختلف في صحبة شفي بن ماتع، وإذا صح أنه صحابي فالحديث هنا له حكم الرفع. انظره في الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٧٠ كتاب صفة الجنة والنار، فصل في أودية جهنم وجبالها. رقم ٣٩ وقد رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً.

(٢) رواه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ح ١ ص ٥٧٠ كتاب النكاح. باب الحث على النكاح والخطبة. رقم ٤٠٨٢.

(٣) رواه النسائي والترمذي وحسنه، انظر جمع الفوائد ح ٢ ص ٣٩٨ رقم ٨٠٨٠ باب الكبير والرياء والكباثر. ونص العراقي أيضاً على تحسينه. انظر إحياء علوم الدين ح ٣ ص ٤١٨.

(٤) رواه مسلم وأحمد واللفظ. له عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب ح ٤ ص ٤٨٣ كتاب صفة الجنة والنار. فصل في عظم أهل النار وقبحهم. رقم الحديث ٧٠.

(٥) رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر، رقم الحديث ٦٩.

أحدهم اثنان وأربعون ذراعاً^(١)، وألوانهم زرقاء، ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٢) فقد تغيرت ألوانهم وعيونهم من شدة ما نزل بهم من الأهوال، ووجوههم شاحبة: ﴿نَزَاعَةُ لِّلشَّوَى﴾^(٣). ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾^(٤) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾^(٤).

كما أن أهل النار مشوهون من الناحية المعنوية فأخلاقهم يائسة وقلوبهم بائسة، يكره بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّلًا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(٥) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعُوا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٥)، ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٦) يٰوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَوِ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾^(٦).

وأيضاً فإنه زيادة في تبيكتهم وتحقيرهم يتبرأ منهم حتى الشيطان الذي أضلهم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطٰنُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧).

كما أنهم يخاصم بعضهم بعضاً ويوبخ بعضهم بعضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلْنَاكَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامًا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفٰلِينَ﴾^(٨)

-
- (١) رواه الترمذي وصححه، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً. نفس المصدر. رقم الحديث ٧١.
- (٢) طه آية ١٠٢.
- (٣) المعارج آية ١٦.
- (٤) عبس آية ٤٢.
- (٥) البقرة آية ١٦٦ - ١٦٧.
- (٦) الفرقان آية ٢٧.
- (٧) إبراهيم آية ٢٢.
- (٨) فصلت آية ٢٩.

ويوجه إليهم المؤمنون توبيخاً ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقَسُوا مِن تَوْبِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُم بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾ (١).

كما توجه لهم الملائكة توبيخاً فيقولون لهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلِكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٢﴾﴾. كما يوبخهم الله تعالى أيضاً ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٣﴾﴾ (٣).

ثم إن أهل النار مخلدون فيها بصورة دائمة ﴿وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ عُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤﴾﴾ (٤)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (٥).

(١) الحديد آية ١٤.

(٢) غافر آية ٥٠.

(٣) إبراهيم آية ٤٤.

(٤) النساء آية ١٤.

(٥) البقرة آية ٣٩.